العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

النسوية البيئية في الشعر العراقي الحديث (بشرى البستاني مثالا)

م.د ميسون عدنان حسن علوش
المديرية العامة لتربية ديالى
qwert554477ali@gmial.com

مستخلص

يهدف هذا البحث الى دراسة تمظهرات النسوية البيئية في شعر بشرى البستاني ، وذلك من خلال البحث والتحليل في بعض المقاطع الشعرية التي عكست فيها الشاعرة العلاقة بين المرأة والطبيعة . فقد درس البحث الجانب الشعري للشاعرة بوصف الشعر خطاباً مزدوجاً يقاوم القهر البيئي والاجتماعي، ويسعى إلى تحقيق نوع من التوازن بين الانسان والعالم الخارجي، كما سعى البحث الى إبراز بعض الأبعاد الفلسفية لشعر الشاعرة وأبعادها الدلالية غير المباشرة ، الأمر الذي عكس وعي الشاعرة النسوي في إطار رؤيتها البيئية.

الكلمات المفتاحية:النسوية ،البيئية، البستاني

Ecofeminism in the poetry of Bushra al-Bustani

Lecturer Doctor: Maysoon Adnan Hassan
General Directorate of Education Diyala
qwert554477ali@gmial.com

Abstract

his study aims to explore the manifestations of ecofeminism in the poetry of Bushra al-Bustani, through analyzing the semantic and aesthetic structures employed by the poet to express the relationship between woman and nature. The research treats the poetic models as a dual discourse resisting both environmental and social oppression, seeking to restore balance between human and the world. It also highlights the philosophical and aesthetic dimensions shaping the poet's ecofeminist consciousness within her environmental vision.

Keywords: ecofeminism, al-Bustani

المقدمة:

تُعد دراسة النسوية البيئية (الايكولوجية) من الدراسات التي عُرفت وانتشرت حديثاً في العوالم والفضاءات الادبية، والتي تسعى الى الدمج بين النسوية والبيئة لتُقدّم ما يسمى (النسوية البيئية) التي تسعى الى إبراز العلاقة بين المرأة والطبيعة ، وقد توسّعت وانتشر نطاقها بطريقة ملحوظة ،وربما يتساءل كثيراً من القراء عن التخصص أو التوجه الذي تهتم به الدراسة النسوية البيئية، فهل تختص بدراسة البيئة؟ إن الدراسة النسوية البيئية لايعني انها كرّست اهتماماتها بالارض وما عليها من طبيعة وحسب، وإنما اتّسعت لتشمل دراسات متنوعة منها علم الاجتماع ،والادب ونقده، واللغة ، وعن موقف الانسان تحديداً مما يجري للطبيعة سواء أكان هذا الموقف يعكس الايجاب أم السلب. أما القسم الثاني من العنوان مصطلح النسوية الذي ارتبط بالبيئة بوصف ادب المرأة اهتم شديد الاهتمام بهذا النوع من الدراسات بحكم المواقف والظروف المتشابهة التي مرّت بها المرأة والطبيعة معاً، وهذا ما نقوم بتوضيحه في متن البحث، من أجل ذلك قام البحث على جانبين اساسيين: الجانب الاول: التنظيري نوضّح فيه مفهومي النسوية والبيئة وما المقصود من النسوية البيئية وما أهم الأسس والمبادئ التي نادت بها تلك الحركة، أما الجانب الثاني: التطبيقي فيتمثل بتطبيقات على شعر الشاعرة المنتقاة في البحث (بشرى البستاني) وهي واحدة من الشواعر العراقيات التي عكست في قصائدها رؤية شعرية نلحظ فيها اندماجا واضحا بين قضية المرأة

والبيئة من أجل إبراز العلاقة بين المكان والبيئة. كل ذلك سيتم توضيحه من خلال بعض النماذج الشعرية للشاعرة لنؤكد إمكانية المرأة المبدعة في تعزيز الوعي البيئي عن طريق تلك العلاقة المتبادلة بين المرأة والبيئة.

الجانب التنظيري :

مفهوم النسوية البيئية الأهداف والمبادئ والمرتكزات:

تعد النسوية البيئية من الحركات النقدية التي برزت في ساحات النقد اليوم والتي يُقصد بها تيار فكري ونقدي ينطلق من تقاطع الحركتين النسوية والبيئية، ويرى أن هناك علاقة جوهرية بين اضطهاد المرأة واستغلال البيئة في المجتمعات الأبوية والرأسمالية، وهذا يعني أن الدراسات الحديثة كشفت عن العلاقة بين التعامل مع المرأة في المجتمع يشبه طريقة التعامل مع الطبيعة[1]، وإن وجه الشبه في تلك العلاقة هو ذلك الاخضاع والسيطرة والتحكّم والتهميش هذا الأمر جعل تحركات المرأة مزدوجة متمثلة بالمطالبة بتحريرها وتحرير الطبيعة معاً بمعنى آخر تحاول تحقيق عدالة البيئة وعدالة المجتمع .

وهذه المهمة التي وكّلتها المرأة لنفسها لم تأتِ من فراغ ، وإنما وجدت المرأة نفسها قريبة من الأرض(البيئة) بحكم أدوارها التقليدية في المجتمع من مثل الرعاية والانجاب والاحتواء مما جعلها على تفكير دائم ومحوري في حماية البيئة والمطالبة في الحفاظ عليها وديمومتها.

فالنسوية البيئية بشكل عام تُشكّل حركة نضالية تروم الى إصلاح العلاقات بين اضطهاد النساء وتدمير البيئة وهي تؤمن بأن تحرير المرأة لايمكن فصله عن تحرير الأرض فهي((توجه نقدي يسعى الى ربط قضايا المرأة والمكان الطبيعي ضمن رؤية موحدة تفكك أنماط السيطرة الذكورية))[2]، ومن بين التعريفات الأخرى نجد الناقدة هالة عبد الجبار تقدّم لنا تعريفاً أكثر دقة في التعبير قائلة ((النسوية البيئية ليست فقط نمطاً من أنماط التفكير البيئي بل هي نداء للعدالة الشاملة تربط بين تحرر المرأة وحماية البيئة))[3]، كما أن هناك بعض الناقدات العربيات نجدهن يربطن العلاقة بين جسد الأنثى والأرض كما في قول أحداهن((يتجلى الطابع البيئي للنسوية في سعيها الى فهم العلاقة بين الجسد الأنثوي والمحيط الطبيعي بوصفها علاقة وجودية تتطلب إعادة تشكيل الفكر البيئي الذكوري))[4]، فمن منّا لايعرف ما البيئة؟ وما الظروف التي تعرّضت لها؟ ولاسيما في الحروب التي تسببت في خراب الطبيعة بشكل عام وهذا مايجعل القضيتين متشاركتين في موضوع القمع والاضطهاد، وبالتالي فهي تُعد واحدة من الفلسفات التي ((تركّز على القضية البيئية وعلاقتها بالنسوية وتقاطعات الاهداف بينهما والحديث عن اشكال القهر التي تحدث للبيئة والنساء كنتيجة لهيمنة النظام الابوي والنظام الرأسمالي))[5]، وهذا ما يجعل الباحث يقف متسائلاً هل تمتلك النسوية البيئية جذوراً فكرية بوصفها تياراً له أهدافه الخاصة؟ يمكن القول أن للنسوية البيئية تعود جذورها الى سبعينات القرن العشرين في الغرب ،خاصة الولايات المتحدة ، مع تصاعد الحركات النسوية والبيئية وقد تبنّت هذا الاتجاه فلاسفة وناشطات نسويات رأين أن هناك صلة مباشرة بين اضطهاد النساء واستغلال البيئة ، وترجع هذه الصلة الى كون الأنظمة الأبوية والرأسمالية تستند الى قيم الهيمنة والسيطرة ،وهي القيم التي تُمارس على المرأة والطبيعة على حد سواء[6]، وعلى الرغم من أن النسوية البيئية قد وصلت متأخرة الى الساحة الأدبية العربية لكننا نجدها تتطور وبشكل ملحوظ في العقدين الأخيرين وهذا التطور يبرز واضحاً من خلال الرؤى النقدية أولاً الى جانب الأعمال الأدبية التي عكست

(1) يُنظر:النسوية البيئية في الأدب العربي المعاصر، سعاد الرفاعي، دار الأمانة ، بيروت، ط2، 2017م: 18-25.
(2)المصدر نفسه: 25.
(1) أدب المرأة والبيئة دراسات نقدية في الشعر العربي المعاصر، هالة عبد الجبار، دار المعارف، القاهرة،ط1، 2019م: 33.
(2)المرأة والطبيعة ،تأملات في الخطاب النسوي البيئي ، نجلاء خالد،دار الفارابي،بيروت، ط1، 2020م: 40.
(3)النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة احمد الشامي، المجلس الاعلى للثقافة ،ط1،القاهرة، 2002م :13-22.
(1) ينظر: المرأة والطبيعة تأملات في الخطاب النسوي البيئي: 15 -26.

الأندماج الواضح بين العلاقتين فقد أخذت((بعداً ثقافياً مركّباً يتقاطع مع التأريخ ،والدين، والهوية، مما يجعلها أكثر حساسية تجاه قضايا المكان والهوية الوطنية))[1]،إذ يمكن أن نلمّح من هذا المفهوم الشامل بعض المرتكزات التي قامت عليها ومنها:

اولاً: الهيمنة وسياسة التبعية التي تتلقاها كلّاً من الطبيعة والمرأة من الآخر.

ثانياً:الطبيعة والمرأة اللتان تلتقيان بنقطة محورية مشتركة وهي القابلية على الخصب والولادة والاحتواء .

فهذه المرتكزات التي حاولت كثيراً من الدراسات النسوية التركيز عليها وعلى تلك المقاربات المشتركة بين المرأة والطبيعة تلك الفكرة انسحبت على كتابات المرأة الأدبية والنقدية التي وضّحت تلك العلاقة بطريقة مباشرة تارة وغير مباشرة أخرى ، لذا فيمكن القول أنّ النسوية البيئية تُشكّل رؤية فكرية شمولية مفادها أن تحرير المرأة لايمكن الوصول اليه وتحقيقه إلّا عن طريق تحرير البيئة من التدمير والاستغلال الخاطئ بكل حالاته[2]، لهذا فقد وجد بعض النقاد أن النقد البيئي شغل أهمية ملحوظة؛ وذلك بوصفه ((مشروع انساني جديد لوجودنا في العالم ، مشروع عماده نظرة جديدة تؤسس لحضارة جديدة))[3]، فالهدف منه ليس مختصاً بالبيئة والمرأة وحسب بل حاول النقد البيئي التخلّص من اضطهاد الفئات المقصاة كافة، ومنها المرأة والفقراء والاطفال والشيوخ والحيوانات والأرض والماء [4]، مما يدل على أن أن هذا التيار لم يكن عائماً وإنما كانت له مبادئ أصيلة حاول تحقيقها أهمها الغاء الهيمنات غير المُبررة ووضع مكانها أُسس قائمة على المساواة بين البشر وتطوير المبادئ الانثوية الملتحمة بالطبيعة التي تنتقد كل ماهو طبيعي، وهذا ما أدركته الحركات النسوية منذ بداية تشكيلها وحتى تطورها . [5] .

إذ يرى بعض النقاد أن القمع الذي حصل للبيئة ترجع جذوره الى الانسان البدائي، ولاسيما الرجل الذي مارس مهنة الصيد باستخدام العنف والقوة على البيئة أو الطبيعة بشكل خاص، بينما المرأة كانت تتحلى بالرأفة والرغبة في الحفاظ على الطبيعة أكثر من الرجل؛ لأنها لم تستعمل أساليب العنف ضد البيئة وربما يرجع سبب ذلك؛ لانشغالها بقضايا المنزل والانجاب وتربية الاولاد وهذا ما جعلها في مرتبة أدنى من الرجل، فغدت المرأة من وجهة نظر المجتمع الذكوري أقل مرتبة منه، وما ساعد على ذلك كثرة الأقاويل التي قالها الفلاسفة والدارسين، ومنها على سبيل المثال أن المرأة خُلقت من ضلع الرجل مما ساعد ذلك على فوقية الآخر على المرأة عموما[6]، وبهذا أخذت الدراسات تتهافت تحت مظلّة هذا المصطلح متوغلة في مبادئه التي تتلخّص في تماسك العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالأنوثة والطبيعة وهذا ما ركّز عليه الباحثون والباحثات [7]، كل هذا يجعل الباحث يطرح سؤالا كيف يمكن أن تتجلى تلك الحركة في الشعر العراقي الحديث، ولاسيما في شعر الشاعرة العراقية بشرى البستاني التي اخترتها مثالا ؛لأن شعرها عكس ايمانها الواضح بتلك الحركة التي ناصرت المرأة وحاولت انصافها وتثبيت وجودها وهويتها وهذا ما يقودنا الى الجانب الثاني من الدراسة.

الجانب التطبيقي: قراءة في شعر بشرى البستاني من منظور النسوية البيئية:

تعد الشاعرة بشرى البستاني من الشواعر العراقيات والنماذج المتقدِّمة التي كانت لها بصمتها الواضحة في مناصرتها للمرأة العراقية، من خلال شعرها الذي استبطن في دواخله خطاباً نسوياً بيئياً

(2)أدب المرأة والبيئة: 30.
(3)ينظر:مقدّمة في علم التبيؤ البشري ،كامل جاسم المرياتي،عالم الحكمة ،ط2،بغداد،2009م:148.
(1)مدخل الى نظرية النقد الثقافي المقارن،حفناوي بعلي،الدار العربية للعلوم ،ط1،بيروت،007م:33.
(2)ينظر:دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، سمير الخليل،مراجعة سمير الشيخ، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت ، 2016م: 52-53.
(3)ينظر: الفلسفة البيئية ، مايكل زيمرمان، ترجمة، معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ،006م: 2/10-11.
(1)ينظر:النسوية الايكولوجية (نحو عدالة عالمية وصحة كوكبية) ، غريتان غارد، ولوري غروين، ترجمة عزة حسون، مجلة الطبيعة والمجتمع ،1993م، بحث منشور في شبكة الانترنت .http:Llmusawasyr.org ،5-6.
(2)ينظر: المرأة وحماية البيئة، عادل رفقي عوض،دار الشروق،ط1، القاهرة، 2015م:23.

بامتياز، تجاوز جماليات القصيدة الى الوعي الذي كشف عن أهمية القضية وإدراكها. اذ نجد الشاعرة تستحضر الطبيعة في شعرها وبشكل واضح للقارئ، بوصف تلك الطبيعة كائن حي يعكس معاناة المرأة وتمردها فقد حاربت الستاني بقلمها وبشدة ضد مضطهدي الأرض الذين سعوا في خرابها، فقد تميّزت بتنوع موضوعاتها، ومناداتها بوجوب بقاء الارض حرة وطاهرة وجميلة ،إذ نلحظ ذلك عِبرَ تماهيها في أغلب الأحيان بالطبيعة ، فلو ذهبنا الى شعرها نقرأ منه نماذجاً كثيرة تسير بهذا النمط ومنه على سبيل المثال قصيدتها التي بعنوان (صوتك الذي يكبر فيه شجري) والتي تقول فيها :

تلتصق دمعتي

على السكاكين التي قطعت يدي

وبعثرت على الارائك حزني

على دجلة الذابل من ضمأ

على كلمة شوق لم تستطع ان تشتعل

فماتت

تلتصق دمعتي على آخر فنجان حزن اقتسمناه معا

على آخر سيجارة دخنتها معك

على الرسالة الاخيرة التي لم تكتبها لي

على لحظة تحيل الكون على هباء

...

تلتصق دمعتي

على حفرة يشعلها غيابك في صدري

على اعمدة سريري

وهي تقطع في الليل اوردتي

...

تلتصق دمعتي

على ليل يتكسر في دمي

ثم يضئ في غفلة اطراف الوجود

ينهض عشب وردي على ساعديك

وتنهمر النجوم في غفوتي الاخيرة

آه .. يالذلك البرق الذي اضاء شعاب الغابة

سأل عنك الشجر والنبع ونجمة بعيدة

لكنهم صمتوا[1]،

فقارئ القصيدة يجد الشاعرة تتماهى مع الطبيعة فتتكلم عن لسانها ويبدو ذلك واضحا من عنوان القصيدة وكأن الذات هي الطبيعة، وهذا ماعكسته لفظة (شجري) الموجودة في العنوان، وما يلفت انتباهنا لفظة (صوتك) وكأن الذات تفترض مخاطباً أمامها فتناديه بالوصل فالشجرة لاتكبر ولاتنمو ولاتتنفس إلّا بوجود الآخر، فالشاعرة بوصفها امرأة لاتمتلك الانانية والنظرة الفوقية والتحامل،فربما هنا أرادت أن تبيّن مسألة كونية مفادها أن الحياة لاتكتمل الا بوجود الآخر، فالذكر والانثى لايمكنهما الاشتغال كل واحد على حدة بل أن تأسيس الحياة تأتي بالاتحاد والألفة القائمة بين هذين المخلوقين .

أما لو ذهبنا الى المتن الذي يؤكد وبشدة مبدأ الشاعرة الذي تمثّل بالأمومة الكونية للطبيعة والمرأة فالأولى أم بيولوجية والثانية كونية مما يعكس توحداً شاملاً بين الأنثى والارض فهي تقدّم مثالاً شعرياً تبيّن من خلاله أن الطبيعة كائن أنثوي مُنتج يوازي في خصوبته وآلامه جسد المرأة بوصفها انثى، مما يدل على أن الذات تتميز بالرأي الثابت، فلم تتلوّن بالتناقضات التي تجعل قارئ القصيدة يتيه في مقاصدها ، فالذات تبدأ بكلمات دالة على حزنها، وهذا نوع من الأساليب التي تلتجأ اليها المرأة عموماً لتبيّن قهرها وحزنها على السنوات الطويلة التي قضتها وهي مهمّشة الفكر والرأي وحرمانها من أبسط الحقوق في الحياة، ومنها حق التعلم فهناك نسبة غير قليلة من النساء عانين بحرمانهن الدخول في مجال التعلّم والدراسة فتفشّت الأمية وبشكل واضح، ولاسيما في الوطن العربي والعراقي وخصوصاً القرى والارياف التي مازالت فيها المرأة محرومة من هذه الحقوق، إذ نرى الشاعرة تقول : (تلتصق دمعتي) فالدمع مؤشر دلالي على الحزن ؛ وذلك لأن الانسان الذي يبكي معناه أنه قد وصل الى ذروة الحزن الذي لا سبيل له سواء ذرف الدمع ،ولكن ربما يسأل سائل هنا هل الدمع دليل العجز؟ أم أن الذات حاولت النهوض باستفراغ حزنها أولاً من ذرف الدموع للتخفيف من حدة الالم الماكث في قلبها حتى تبدأ حياة ،وما يؤكد حزنها على الماضي المضطهد قولها:

على السكاكين التي قطعت يدي

وبعثرت على الارائك حزني

على دجلة الذابل من ضمأ

على كلمة شوق لم تستطع ان تشتعل

فماتت

فالدمعة تلتصق بسبب السكاكين فعن أية سكاكين تتحدث الشاعرة؟ عن تلك التي قطعت يدها واليد كما هو معروف أنها من الاساسيات التي يعتمد فيها الانسان بالكتابة وممارسة بعض الاعمال المهمة، فهل ارادت الشاعرة توضيح قضية متعلقة بمنع النساء قديماً من الكتابة والتعبير عن مشاعرهن واحاسيسهن مثلها مثل الرجل الذي استطاع الكتابة والتعبير بحرية عن كل مايدور في خاطره، على العكس من المرأة التي لو ذهبنا الى شعرها وكتاباتها نجد الاغلبية تفصح عن رأيها بطريقة رمزية ليست مفهومه أو مباشرة ، لذلك نجد أغلب قراء قصائد المرأة يحتاجون إلى القراءة المتأنية لكي يستطيعوا فك تلك الرموز .

تواصل الشاعرة بالتعبير عن حزنها وألمها من خلال مناداة الآخر الغائب قائلة:

تلتصق دمعتي على آخر فنجان حزن اقتسمناه معا

(1) ديوان البسي شالك الأخضر وتعالي، بشرى حمدي البستاني، عمان ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط1، 2015 م: 45-51.

على آخر سيجارة دخنتها معك

على الرسالة الاخيرة التي لم تكتبها لي

على لحظة تحيل الكون على هباء

تلتصق دمعتي

على حفرة يشعلها غيابك في صدري

على اعمدة سريري

وهي تقطع في الليل اوردتي

فهي المرأة أو الانثى التي تحنُّ على وصل الآخر الذي غيبته الذات من القصيدة، فقد اصبحت كل الاشياء بعده متكسرة وخربة لاجمال فيها ولا حتى روح، فهي تسمع صوته وهو يشاركها الليالي والايام فينزف الشوق المصاحب للحزن والقهر.

وما نلاحظه استمرار الشاعرة في توظيف مفردات الطبيعة إلى نهاية القصيدة مع بعض الألفاظ الدالة على الذات نفسها مثل (يدي، صدري، أوردتي، سريري...) لتكوين صورة شعرية غير مألوفة عبّرت من خلالها عن مشاعرها وحالتها النفسية المضطربة بالفقد وما حلّ بها بسبب الآخر وهجرانه.

لتختتم قصيدتها بالصمت إذ أن الصمت هنا لا يعني الامتناع عن الكلام بقدر ما هو تعبير أنثوي يحتمل أبعاداً دلالية متعددة منها، أولاً: الموقف الذاتي من التصميت وتغييب الهوية والسكون الذي لازم المرأة لسنواتٍ طويلة والرغبة في الخروج من دائرة الصمت الى دائرة الكلام، والثاني: ضرورة نهوض المرأة من أجل القضاء على جميع الحواجز التي تمنع حركتها النّسوية من التقدّم وأولها الصمت ومحاربته؛ لأنه بمثابة استسلام وضعف بالنسبة لها.

وتقول في قصيدة أخرى بعنوان (في الخلوة أعلمك كل شيء)

حبيبي أضيُع بهذا النعيم

وأشرع للبحر صدري فترتبُك الريُح ،

يخرج قلبَي أثقالُه،

فتضيع المسافاُت....

ما بين مد وجزْر....

وأدخل صدركَ...

يأخذني الضوُء نحو حدائَق سريةٍ...

وتقول....ادخلي..

قد وعدِت بها.....

إنها جنة

كنِت مرضّية

عّدت لعينيك...

قلُت...الدوائُر مقفلة حولها

كيف أدخُل..

قلَت...هو السُّرُ ذاك....

في الليل .....

كان البيُت يرّتُب في الادراج أحزانْه...

ويطوي أمانيه في حقائب منسّية.....

وعلى رفوف الصمت يصّفُف أقداحهْ...

في الفجر صحا البيُت محموما،[1]

فهذه القصيدة تعكس الفكرة نفسها التي صورتها الشاعرة في القصيدة السابقة في توظيف الطبيعة واللغة الأنثوية ليكشف القارئ العلاقة بينهما، والدليل على ذلك كثرة توظيفها لألفاظ الطبيعة (البحر والريح والقمر والبيت وغيرها) إلى جانب توظيفها للألفاظ الدالة على الذات الشاعرة مما يدل على تعلق تلك الذات بالطبيعة ومتعلقاتها في النص البيئي الذي أصبح في تعامله مع الانسان بشكل دائم بوصفه جزءا من الطبيعة فهو مفردة من مفرداتها.

أما في قصيدتها المعروفة بعنوان (مخاطبات حواء) فهي من القصائد الملفتة لانتباه قارئها لما تعكسه من نمط الشاعرة الذي لايخلو من ذكر الفاظ الطبيعة ومناداتها للحرية والعيش البعيد عن العنف على طول القصيدة ومنها قولها مثلا:

وقلت..

أزرعي همسك في رملِ روحي

كي تطير العصافيرُ

في الشرفاتْ

وبأناشيد الحرية ترنمي

كي ينهض الشهداء في القبورْ [2]

فالشاعرة تُفصح عن مبادئها الإنسانية لتوضّح رؤيتها في ابداء الرأي بعيداً عن الخوف والضغوطات الخارجية، ولاسيما المرأة ومعنى أنْ يعيش الأنسانُ من غير قيود تحكمه وذلك من خلال عرضها لأهم ركائز الحياة، ومنها (الحب) الذي يعني كما تراه الشاعرة ((الخلاص من عزلة الروح وسجن الجسد، خلاص من الواحدية الخانقة ومن الانكفاء وذبول النفس في كون غامض ومعقد، ووسط عصر يختنق بإيديولوجيات متناقضة ملأت الحياة بالضوضاء والفوضى وقتلت روح

(1)ديوان البسي شالك الاخضر وتعالي:11-13.
(1) الاعمال الشعرية ، بشرى البستاني ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن، ط1 ، 2012 م.: 33-34.

الإنسان))[1]، هكذا استطاعت الشاعرة طرح أكثر من قضية في آنٍ واحد أولاً قضية المرأة، وثانياً القضايا الإنسانية الأُخرى، مما يؤكد الوعي في دمج المعاناة الخاصة بالعامة موظّفة كل طاقاتها الابداعية المستمدة من ثقافتها الفكرية والتاريخية والدينية لتعكس تجربتها .

وقلت..

بخُصل شعرك طوقيني

فأنا ..

أحبُّ الموت بين القضبانْ

وازرعي غبارك في دمي

كي أحتلَّ متون العالمْ ..

وقلت..

ارقصي بغلائل الحرير حولي

كي تدور الأنهار حول الارضْ..

وقلت..

بغلائل نومك سيري

لكي تتحرك التماثيلُ في القاعاتْ

وارفعي شفوف الحرير عن صدركْ

كي يجنّ جنون الكونْ ..

وقلت ..

أسرجي خيولك الذهبيةَ،

فقد بدأ هبوب الرياحْ .. [2]

لو تأملنا عالم النص الداخلي لوجدنا فيه الحب الذي يعني ((بالنسبة للمرأة/ الشاعرة ليس فكرة افتراضية، أو مجرد خلفية يمكن أن تتسير الحياة على احتمال حدوثها، وإنّما هو الفاصل الطوباوي الأجمل في حياة واقعية مديدة، وشرط وجود))[3]، فقد أعلنت الشاعرة في النص عن حاجة المرأة واستحقاقها لمثل هذا الحب المتسامي لأنها ((كائنٌ يهب الوجود معنى بطريقتين ،الأولى تواصل إنساني لا يتم الاّ بمعاناتها التي تصل حد التضحية بحياتها... لأنها تضمر الرجل والأجيال القادمة بدمها... أما الحياة الثانية التي تنتج عالماً ثقافياً من خلال نص ينتج إنوثة بتمام القصد والمعنى))[4]،إذ إن هذا التصريح يؤكد

(1) الشاعرة بشرى البستاني: الفنون وسيلة لتبديد قهر الانسان ، حوار د0أحمد قتيبة يونس، صحيفة المثقف، www.almothaqaf.com. .

(1) الأعمال الشعرية :38- 42 .

(2) سادنات القمر سرانية النص الشعري الأنثوي ،محمد العباس، مؤسسة الانتشار العربي ،(د. ط. ت): 5.

(3) النص السرّاني محرّك للنص المعلن، حوار مع الشاعرة العراقية بشرى البستاني، بيداء حكمت ، الناقد العراقي www. Alnaked. Aliraqi.net.0

أهم الأفكار التي عرضتها الشاعرة في نصها، ولاسيما حب المرأة للوطن والطبيعة والأرض والرجل والقدرة على

الاحتواء فالمرأة من وجهة نظر الشاعرة تضاهي الكون والطبيعة والعالم كله الذي يتوقف من دونها، ولكن هل وجدت المرأة ما يوازي حبها وعطاءها؟ يبدو أنها لم تجد وذلك لأن((الحب والاهتمام المتاحين لها من الرجل ومعه الاسرة لا يكفيان حاجتها،... وأنّها تحتاج لقدر اكبر من الحب يوازي ما أعطت وتعطي))[1]، فالشاعرة تطالب بالحب الناتج من رؤية انسانية تبشّر بالتكافؤ وتعويض حرمانها الداخلي لتزيل الوحشة وتستطيع أن تواصل الحياة.

ولاننسى ونحن نتحدث في إطار النسوية البيئية توظيف الشاعرة وبكثرة لفظة(الماء) فقد كثّفت حضوره بوصفه رمزاً انثوياً بيئياً له دلالات متعددة منها الخصوبة، والديمومة، والولادة، والحماية، والتطهير فهي تقول على سبيل المثال:

أنا ماء القصيدة إن عطش الحقل

وأنا جديلة المطر على كتف الفجر[2]

وفي موضع آخر نجدها تتماهى مع النبع الذي يُعد مصدراً من مصادر الماء بقولها:

أنا النبع

حين يعطش الكلامُ

أفيض على القصائد بمائي[3]

فهي بذلك تؤكد الدور الحيوي للمرأة في منحها للحياة وذلك لأنها ترى أن الماء لايشكّل عنصراً بيئياً وحسب ،وإنما يُمثّل تلك الطاقة الانثوية الكامنة فهي تروي الكلمة وتمنحها معنىً للحياة والنص الشعري معاً بعيدة كلَّ البعد عن الفوقية والتعالي الذكوري.

كما نجدها تقول:

كان الماء امرأة

تنساب في ذاكرتي

كلما احترق الوقت على أصابعي[4]

فهي ترى أن الماء يحمل رمزية و دلالة الحنان والذاكرة والتجدد فعندما تحترق ذات الأنثى يكون الماء هو الخلاص لها فالشاعرة نجدها تعمل على توظيف المستوى الرمزي للماء مما يجعله يحمل بعداً بيئياً نفسياً يعالج التوازن الداخلي لذات الشاعرة كما تفعل الامومة عندها.

وفي قصيدتها (أنثى النهر) نجدها تقول:

أحملُ في عروقي نهراً

(1) النص السرّاني محرّك للنص المعلن، www. Alnaked. Aliraqi.net.
(2)الاعمال الشعرية الكاملة: 22.
(3) المصدر نفسه: 52.
(1) الاعمال الشعرية الكاملة: 36.

يسير الى الجهات الأربع

كي لايضيع اسمي[1]

فالنهر في نظر الشاعرة لايسير في مجراه المعتاد، وإنما يجري في الجهات الأربع وقد أرادت من ذلك أن تبيّن التعددية والانتشار وسعة الحضور فالنهر هنا رمزاً للمرأة وحركتها ونشاطها، والتي استطاعت ان تقاوم الاضمحلال مما يدل ذلك على أن الذات استغلت رمزية النهر لِتؤكد وتُثبت الذات الأنثوية ووجودها في داخل الفضاءات التي تهددها بالتغييب.

وفي قصيدة أخرها توظّف فيها رمزية الماء يجعلنا نربطه بمنظور النسوية البيئية قائلة:

لأن الماء أنثى

فإن النار تخشاه

وإن التراب يُزهر حين تلامسه[2]

الشاعرة هنا توظّف لقارئها صورة شعرية تبيّن من خلالها عناصراً اربعة متمثلة بالماء، النار، التراب، الأنثى. الماء بوصفه قوة انثوية مهيبة وناعمة مما يجعل النار تخشاه وتخاف منه لأنه يُخمدها ويُنهي وجودها ،أمّا التراب يُزهر حين يلتقي به، فهو استنتاج نسوي بيئي يمنح لثنائية المرأة والماء مركزية النظام الكوني ووجوده وبالتالي تُشكّل تلك الثنائية بقوتها التدميرية الطاقة الذكورية .

لم تكتفِ البستاني بتلك النماذج الشعرية لتُعبّر عن وعيها ومدى إدراكها للحركة النسوية البيئية، وإنما نجدها قد وظّفت رموزاً شعرية أخرى عكست فيها مدى الارتباط الوثيق بين الانثى والطبيعة منها رمزية الجسد كأرض محتلة ففي قولها:

أسير كأرضٍ تئنُ من فؤوس الغزاة

وفي خاصرتي خريطة من الطمي والندم[3]

فالجسد يمثّل امتدادا مكانياً مسلوباً ومنتهكاً وكأن الشاعرة تحاول التلميح لقارئها أوجه المقاربة بين المكان والأنثى والارتباط الوثيق بين اغتصاب الطبيعة واغتصاب الجسد وهو اسقاط بيئي نسوي للذاكرة الجمعية .

كما نجدها تعيد كتابة الأسطورة كلكامش تقابله في ذلك الانثى الطبيعة ففي قصيدتها (انكيدو) نجدها تقول:

أنا انكيدو الأخرى

أوقظ الطين في نخاع الجبل

وأعلم الملك كيف يغفر[4]

فالبستاني تحاول اعادة الاسطورة بحلّة شعرية جديدة ومن منظور نسوي بيئي وذلك عِبرَ القوة التي تمنحها للأنثى /الطبيعة لتصبح كائناً لاتابعاً ولا مُروضاً، وهي بهذه الصورة تقلب هيمنة التاريخ الذكوري

(2)المصدر نفسه:18.
(1)الاعمال الشعرية الكاملة: 49.
(1) الاعمال الشعرية الكاملة:41.
(2)المصدر نفسه :52.

من خلال جعل الطبيعة ذات فاعلية ثقافية، فهي تتحدى السلطة والخطابات الذكورية وتمنح الطبيعة والانثى صوتاً جديداً متمرداً نابضاً بالوعي والرفض، وهذا يدل على أن شعر البستاني قد غدا وثيقة مقاومة ثقافية نسوية بيئية في المواجهة والثورة، وما يدل على ذلك قولها في قصيدتها (نخلة تحرسني) والتي عبرت بها عن مقاومتها الشديدة ضد الآخر:

في كل مرة يختل فيها ميزانُ الكون

تنبت على كتفي نخلة

تحرسني من الغرق[1]

فالشاعرة لاتترك التماهي المستمر مع الطبيعة إذ نجدها تُعبّر عن المقاومة الأنثوية من خلال رمزية النخلة التي تُعد كائناً نباتياً متجذّراً في الأرض، وهي بذلك تصبح رفيقة للأنثى في مواجهة العالم الخارجي واختلاله، فالمقطع الشعري يعكس الذات الأنثوية الثائرة والمُواجِهة من خلال إظهار صورة الطبيعة الإيجابية ودورها الفاعل .

بينما نجد الشاعرة في مقاطع شعرية أخرى توضّح فيها رؤية نسوية بيئية جديدة وهذا ما نجده في قصيدتها (الأم الكبرى) تقول:

أمي لم تكن امرأة فقط

كانت بحيرة من الضوء

يسبح فيها الزرع والسمك والقصائد[2]

ففي المقطع الشعري تعكس الشاعرة بعداً رمزياً عيمقاً لاينحسر على البعد الجسدي الأنثوي وحسب ،وإنما يتوجه في بُعده الرمزي الى الطبيعة الأم التي تحتوي على أهم عناصر الوجود الكوني ومنها الماء، الضوء ، النبات، الحيوان، الهواء. يتضّح من خلال تلك القراءات الشعرية للشاعرة أنها استطاعت تقديم خطاباً شعرياً يُدين المجتمع المهيمن، وذلك من خلال تصويرها للأنثى كامتداد للطبيعة التي مثّلت كائناً أنثوياً حياً عانى وتمرّد وتجدد وعلى هذا يمكن القول بأن شعر الشاعرة استبطن في دواخله الخطابات النسوية البيئية واعادة انتاجها عربياً بطريقة رمزية اتقنتها الشاعرة.

الخاتمة:

في ختام البحث نتوصل من خلال الدراسة التنظيرية والتطبيقية الى النتائج الآتية:

-إنّ الحركتين النسوية والبيئية من الدراسات النقدية الحديثة التي لفتت الانتباه الى توجه المرأة المثقفة في كتاباتها الى هذا التماهي الحاد بين الطرفين دفاعاً عن الحقوق المضطهدة للاثنين.

-من التوجهات الاساسية للنسوية اثبات الهوية الانثوية وتحقيق العدل والمساواة في المجتمع بين الطرفين .

-عكست قصائد الشاعرة فلسفة الانسان والموجودات والهم الكوني المشترك مما يعكس هذا بدوره وعي الشاعرة الكوني.

-ظهر النقد النسوي البيئي نوع من النقودات التي حاولت معالجة الانحرافات والاخطاء رامياً الى التخلص من الاخطار الكونية للموجودات والطبيعة .

(1) الاعمال الشعرية الكاملة:47.
(2) المصدر نفسه:61.

-تنتمي الدراسات النسوية البيئية الى الدراسات الثقافية التي كانت حاضنة لمثل هكذا توجهات جديدة في المجتمع.

المصادر والمراجع:

- أدب المرأة والبيئة دراسات نقدية في الشعر العربي المعاصر، هالة عبد الجبار، دار المعارف، القاهرة،ط1، 2019م.

-الأعمال الشعرية ، بشرى البستاني ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن، ط1 ، 2012 م .

- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً ، د ميجان الرويلي ،د سعيد البازعي ، دار البيضاء – المغرب ،ط3، 2..2 م.

- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، سمير الخليل،مراجعة سمير الشيخ، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت ، 2016م

-ديوان البسي شالك الأخضر وتعالي، بشرى حمدي البستاني، عمان ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط1، 2015 م.

- سادنات القمر سرانية النص الشعري الأنثوي ،محمد العباس، مؤسسة الانتشار العربي ،(د. ط. ت) .

- الشاعرة بشرى البستاني: الفنون وسيلة لتبديد قهر الانسان ، حوار د.أحمد قتيبة يونس، صحيفة المثقف، www.almothaqaf.com.

- الشعر النسوي في العراق 1960-2... دراسة موضوعية وفنية ، د.فرح غانم صالح ،دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد ، ط1، 2013م.

- الفلسفة البيئية ، مايكل زيمرمان، ترجمة، معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ،..6م.

- مدخل الى نظرية النقد الثقافي المقارن،حفناوي بعلي،الدار العربية للعلوم ،ط1،بيروت،.7م.

- المرأة وحماية البيئة، عادل رفقي عوض،دار الشروق،ط1، القاهرة، 2015م.

- المرأة والطبيعة ،تأملات في الخطاب النسوي البيئي ، نجلاء خالد،دار الفارابي،بيروت، ط1، 2020م.

-مصطلحات نسوية: الإيكولوجيا النسائية..(المرأة ارض.. الارض مرأة) 30 أبريل 2016 م على موقع واي باك مشين.

- مقدّمة في علم التبيؤ البشري ،كامل جاسم المرياتي،عالم الحكمة ،ط2،بغداد،2..9م.

- النص السرّاني محرّك للنص المعلن، حوار مع الشاعرة العراقية بشرى البستاني، بيداء حكمت ، الناقد العراقي www. Alnaked. Aliraqi.net.

- النسوية الايكولوجية (نحو عدالة عالمية وصحة كوكبية) ، غريتان غارد، ولوري غروين، ترجمة عزة حسون، مجلة الطبيعة والمجتمع ،1993م، بحث منشور في شبكة الانترنت http:Llmusawasyr.org.

- النسوية البيئية في الأدب العربي المعاصر،سعاد الرفاعي، دار الأمانة ، بيروت، ط2، 2017م.

-النظرية النسوية مقتطفات مختارة ، ويندي كولمار ، فرانسيس بارتكوفيسكي ، ترجمة عماد ابراهيم ، عمان- الأردن ،ط1، 2010م .